اصدقاء الثورة واعدائها ، تصبح قضية مجردة تماما ، واكاديمية جـدا ، ان لم تربط بالمرحلة التاريخية المعاشة ، وان لم تناقش من خلال التيارات الفكرية التي تتجاذبها . وفي واقع حركة المقاومة الفلسطينية (التي تعيش في عام ١٩٦٩ ، وليس في عام ١٩٠٠) فان معالجة مسألة الرجعية كخصم ، لا تتم بقول ذلك ، بل بتحديد أساليبها الراهنة في ممارسة هذه الخصومة للثورة . وتتم أيضا بتفنيد وجهات النظـر التي تقول بامكـان تحييدها . وبمناقشة من هذا النوع فقط ، يكون هناك اغناء لمتابعة موضوع الرجعية. اما تثبيتها كحادثة مكتشفة ، فبديهي انه لا يضيف للحركة الوطنية الفلسطينية والعربية اي جديد كان : وهو موقف يمكن قوله الان ، ونكون متأكدين مئة بالمئة ، أننا نستطيع تكراره بنفس الطريقة بعد خمسين عاما اخرى ، فهل هذا التكرار هو المطلوب ؟

وحين يناقش الكراس مسألة « من هم أصدقاؤنا » يبدأ بداية صحيحة جدا حين يبين خيف « ان الفكر اليميني في الساحة الفلسطينية والعربية يحاول ان يلغي او يميع النظرية الطبقية للامور »(٤٨). ولكنه ينتهي الى نفس التحديدات المعروفة والتي لا جدال حولها والتي تقول ان مادة الثورة هم العمـال والفلاحون ، وان البورجوازيـة الفلسطينية الصغيرة يمكن ان تكون حليفا ، ويجب ان لا تحتل موقع القيادة . وهنا نجد انفسنا أمام طريقة في تحليل الامور وتحديدها تصلح في عصرنا الراهن لكـل زمان ومكان . فعلى امتداد آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، تردد ادبيات الثورة الموروثة عـن ماركس وانجلس ولينين وماوتسي تونغ وجياب ان العمـال والفلاحين هم مادة الثورة ، وان البورجوازية الصغيرة اقرب حليف لها ، وان البورجوازية الوطنية متذبذبة وتحدد موقفها على ضوء نتائج الصراع . ولكن هذه التحديدات التي كرسها التحليل الماركسي في شرحه لقوانين الصراع الطبقي ، خضعت حسب ظروف كل بلد ، لدراسة واقعية ، واكتسبت بذلك قيمتها كمرشد ودليل لفهم أوضاع محددة بطريقة ملموسة .

ان اصرار الجبهة الشعبية على امتلاك تحليل متكامل هو ايجابيتها الرئيسية ، ولكنها عانت من ظاهرة خطرة ، حين حصرت اهتمامها في وصف الظواهر العامة ، ولم تستطع ان تدخل ميدان الفهم الجدلي للوقائع .

نتائج عامـة

من هذا الاستعراض المكثف للفهم الفلسطيني لهزيمة حزيران ، نلاحظ بوضوح ان ابرز المواصفات العامة للحيز الاكبر من المواقف النظرية ، هو الهرب مـن التحليل والنقد وحصر الاهتمام في الحديث الوعظي « عما يجب » . التركيز على ابراز مظاهر العجز ، وتجاهل تحليل اسباب هذا العجز ، والغرق نتيجة لذلك في المواقف التقريرية والانشائية، حيث تصبح البديهيات السياسية سيدة الموقف . وحـين تكون هناك محاولة لتخطي البديهيات تبرز نزعة النرجسية المفرطة ، وخاصة حين يُتناول الموضوع الدور الخاص للعمل الفدائي ، ومنجزات هذا العمل . ان تخطي هذا الفقر النظري المدقع ، لا يتم بمعجزة . فما لم تحسم داخل كل تنظيم مسألة ضرورة النظـرية الثورية ، والفكـر السياسي الثوري ، فان العجز عن رؤية الواقع على حقيقته ، والعجز بالتالي عن تحليله، والتخبط في مواجهته ، سيبقـى صفة ملازمة لحركة المقاومة ، لا تستطيع في ظلالـه ان تحتل موقعا قياديا في مسار الحركـة الوطنية العربية . وغياب النظرية الثوريـة المرشدة عن القطاع الاكبر من حركة المقاومة الفلسطينية ليس في الوقت الراهن قضية اختيار ارادي ، اذ ان له اسبابه الموضوعية .

فتركيب فتح الذي يضم خليطا من التيارات الفكرية والانتماءات الطبقية ، لا يسمح لها بحسم المسألة النظرية . وكون الصاعقة وجبهة التحرير العربية انعكاسا لاجنحة حزب البعث ، ولد افتعال مؤسسة وطنية عربية بكل حيثياتها الى ميدان العمل الفلسطيني ، ولم يولد ردا خاصا بهما على هزيمة حزيران . اما المحاولات النظرية المتقدمة في مواجهة الهزيمة فقد تمت في المؤسسة التي فجـرتها أحداث حزيران . لقـد انشقت الجبهة